جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد العلمين للدراسات العليا

كلَية العلوم السياسية

بناء الهوية الوطنية في مجتمعات مابعد النزاع

دراسة مقارنة لحالتي لبنان والعراق

رسالة تقدم بها الطالب

ضياء ستار جادر

إلى / مجلس معهد العلمين للدراسات العليا

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في العلوم السياسية –النظم السياسية

بإشراف

أ.د زيد عدنان محسن

٢٠٢٦م ١٤٤٧ هـ

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة ب (بناء الهوية الوطنية في مجتمعات ما بعد النزاع :دراسة مقارنة لحالتي لبنان والعراق) التي تقدم بها الطالب (ضياء ستار جادر) قد جرت تحت إشرافي في معهد العلمين للدراسات العليا، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في العلوم السياسية / النظم السياسية والسياسات العامة

التوقيع

الأستاذ الدكتور

زيد عدنان محسن

التاريخ / / ٢٠٢٦

توصية رئيس القسم

بناءً على التعليمات والتوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع

الأستاذ الدكتور

محمد ياس خضير

رئيس قسم العلوم السياسية

معهد العلمين للدراسات العليا

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن هذه الرسالة الموسومة ب **(بناء الهوية الوطنية في مجتمعات ما بعد النزاع :دراسة مقارنة لحالتي لبنان والعراق)** التي تقدم بها الطالب **(ضياء ستار جادر)** صالحة من الناحية اللغوية وأسلوبها سليم ولأجلها وقعت .

التوقيع :

اللقب العلمي :

الاسم :

العنوان :

التاريخ :

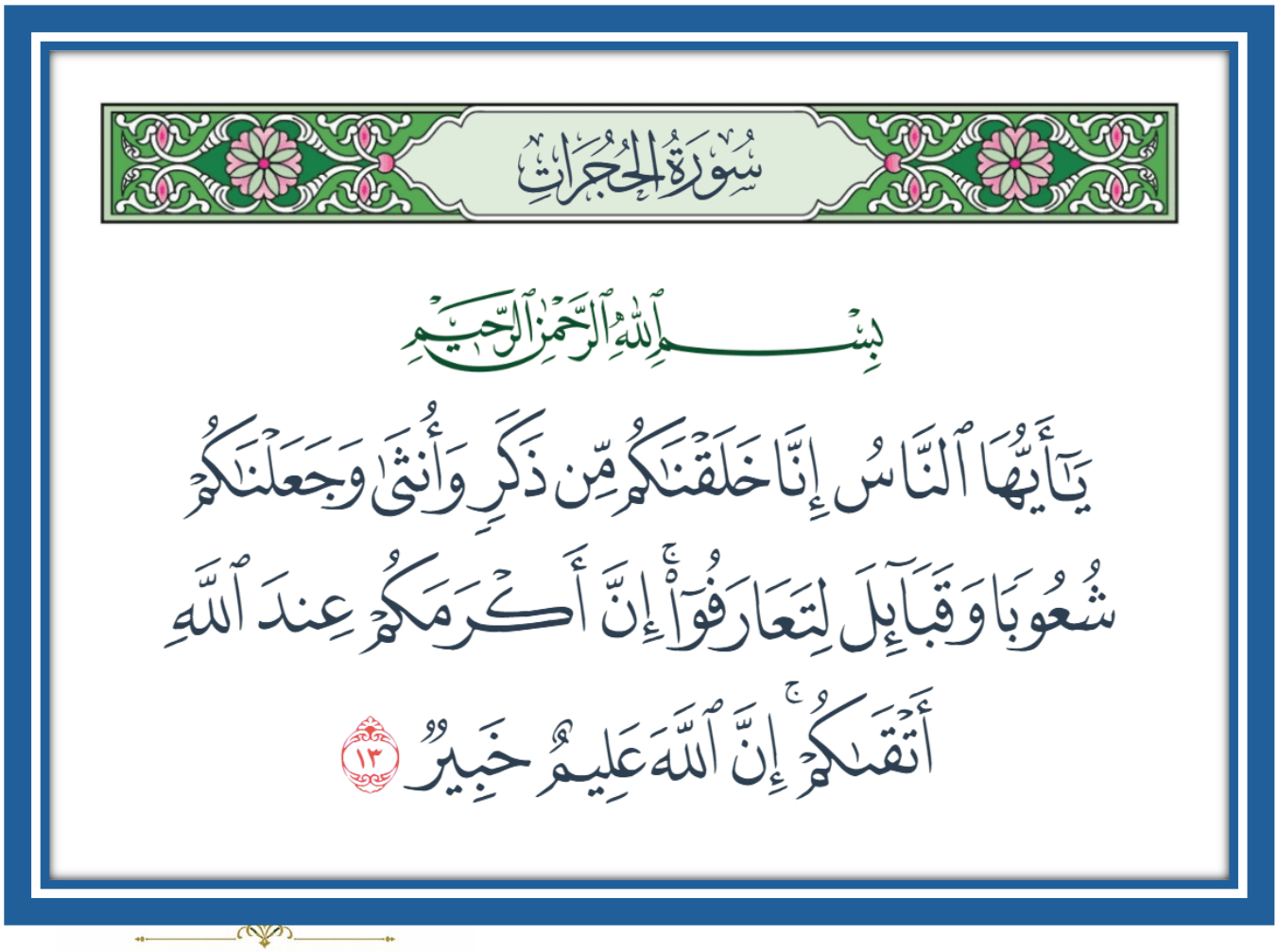

صدق الله العلي العظيم

(سورة الحجرات /الاية ١٣)

الإهداء

إلى هذا الذي قال مرة لي ادرس حتى لا يعمى بصرك ، منبت الخير والتضحية والسلام ، والدي العزيز .

إلى من أرضعتني الحب والحنان، وكانت رمز المحبة وبلسم الشفاء، والدتي الحبيبة.

إلى من شاركتني السراء والضراء، وكانت رفيقة الدرب المخلصة، زوجتي العزيزة.

إلى الذين أمدّوني بالنصح والإرشاد، وحفّزوني على النجاح، إخوتي وأخواتي، وأحبّائي وأصدقائي وزملائي وأساتذتي.

إلى فلذات كبدي، وأمل الغد، ولديّ الحبيبين عباس وزين العابدين.

و زهراتي المشرقة، ديما ودانية .أهدي إليكم جميعًا ثمرة جهدي المتواضع .

الشكر والعرفان

في ختام عملي المتواضع، أحمدُ اللهَ العظيم وأشكره جزيل الشكر على ما وفقني إليه في إنجاز هذا البحث .

وإنّ واجب العرفان يدعوني أن أتقدّم بخالص الشكر وعظيم الثناء إلى الأستاذ الدكتور العميد زيد عدنان محسن، لما تحلّى به من خُلُقٍ رفيع ودعمٍ كريم .و أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي ومعلمي في مرحلة البكالوريوس، الأستاذ الدكتور أحمد غالب محيي الشلاه، الذي كان له الفضل في الإشراف على هذه الرسالة، وما بذله من جهدٍ متواصل، وما قدّمه من نصحٍ وتوجيه منذ بداية مرحلة البحث وحتى إتمامه.

وأتوجّه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الأفاضل في معهد العلمين قسم العلوم السياسية، الذين تلقيت العلم على أيديهم خلال السنة التحضيرية .وخالص الشكر للأستاذ الدكتور سرمد زكي الجادر لعطاءه العلمي الوافر ولما قدمه من نصائح بقية عالقة في اذهاننا .

و أقدّم خالص الشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة الكرام، لتفضّلهم بمنحي جزءًا من وقتهم الثمين لقراءة هذا العمل ومناقشته .ولا يفوتني أن أشكر كادر الموظفين في جامعة النهرين، وكذلك العاملين في مكتبة كلَية العلوم السياسية، لما قدّموه من تسهيلات إدارية وتوفير للمصادر العلمية .

وأتقدّم بخالص الشكر والامتنان إلى زملائي الذين أعتزّ بهم، وإلى كلَ من مدّ لي يد العون، أم أسدى إليّ نصيحة، أم قدّم لي معروفًا .فلهم جميعًا مني خالص الشكر والود .

ملخص الرسالة

يتناول هذا البحث إشكالية بناء الهوية الوطنية في مجتمعات ما بعد النزاع عبر دراسة مقارنة لحالتي لبنان والعراق، بوصفهما نموذجين لمجتمعات متعددة تعاني من تحديات تاريخية وبنيوية وسياسية واجتماعية أثّرت في مسار تشكلَ الهوية الوطنية الجامعة. ويهدف البحث إلى تحليل أبرز العوامل التي أعاقت ترسيخ هوية وطنية مشتركة في البلدين، مع الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف في تجاربهما في هذا المجال.

اعتمدت الدراسة المنهج المقارن للكشف عن طبيعة التحديات المرتبطة بضعف نشأة الدولة، وفشل السياسات العامة في إدارة التنوع الاجتماعي، واستمرار التدخلات الخارجية، فضلًا عن محدودية الوعي الوطني الجامع، باعتبارها من أبرز العوامل التي أسهمت في إعاقة بناء هوية وطنية شاملة في كلَ من لبنان والعراق. و بيّنت الدراسة أن الاعتماد على الهويات الفرعية ذات الطابع الطائفي أم الإثني أم المناطقي كمرتكز للهوية السياسية للدولة لا ينسجم مع متطلبات بناء دولة وطنية جامعة، بل يكرّس الانقسام ويُضعف الانتماء الوطني المشترك.

وتؤكد الدراسة أن التنوع الاجتماعي في كلَا البلدين لا يمثل عائقًا أمام بناء الهوية الوطنية، بل يمكن أن يشكلَ عنصر إثراء لها إذ ما أُحسن تنظيمه ضمن إطار سياسي ومؤسساتي قائم على مبادئ المواطنة والمساواة وسيادة القانون. ومن ثمّ، فإن الانتقال من مجتمع متنوع غير منسجم إلى مجتمع متنوع منسجم يتطلب إصلاحات سياسية ومؤسساتية شاملة تعزز قيم المواطنة، وتحد من تأثير الانقسامات الفرعية والتدخلات الخارجية، بما يسهم في ترسيخ هوية وطنية جامعة. وفي هذا السياق، يبرز دور النظام السياسي بوصفه الفاعل الرئيس في إدارة التنوع الاجتماعي وتقنينه بما يحقق الانسجام المجتمعي والاستقرار السياسي في مجتمعات ما بعد النزاع.

قائمة المحتويات

ت	العنوان	رقم الصفحة
١.	الأية	

٢.	الاهداء	
٣.	الشكر والعرفان	
٤.	ملخص الرسالة	
٥.	مقدمة	
٦.	مدخل تمهيدي :مفهوم الهوية لغة واصطلاحا وعناصر وانواع الهوية ومفهوم النزاع وانواعه	
٧.	الفصل الأول :تحديات وسياسات بناء الهوية الوطنية لبنان والعراق	
٨.	المبحث الأول :تحديات بناء الهوية الوطنية في العراق ولبنان	
٩.	المطلب الأول :تحديات بناء الهوية الوطنية في العراق	
١٠.	المطلب الثاني :تحديات بناء الهوية الوطنية في لبنان	
١١.	المبحث الثاني :سياسات بناء الهوية الوطنية في العراق ولبنان	
١٢.	المطلب الأول :سياسات بناء الهوية الوطنية في العراق	
١٣.	المطلب الثاني: سياسات بناء الهوية الوطنية في لبنان	
١٤.	الفصل الثاني :أوجه الشبه والاختلاف بين لبنان والعراق ببناء هوية وطنية	
١٥.	المبحث الأول :أوجه الشبه بين لبنان والعراق ببناء هوية وطنية على الصعيد الداخلي والخارجي	
١٦.	المطلب الأول :أوجه الشبه بين لبنان والعراق على الصعيد الداخلي في ببناء هوية وطنية	
١٧.	المطلب الثاني : أوجه الشبه بين لبنان والعراق على الصعيد الخارجي	
١٨.	المبحث الثاني :أوجه الاختلاف بين لبنان والعراق على الصعيد الداخلي والخارجي	
١٩.	المطلب الأول :أوجه الاختلاف على الصعيد الداخلي بين لبنان والعراق ببناء هوية وطنية	
٢٠.	المطلب الثاني :أوجه الاختلاف على الصعيد الخارجي بين لبنان والعراق ببناء هوية وطنية	

٢١.	الفصل الثالث :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في لبنان والعراق	
٢٢.	المبحث الأول :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في لبنان	
٢٣.	المطلب الأول :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد السياسي في لبنان	
٢٤.	المطلب الثاني :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد الاقتصادي في لبنان	
٢٥.	المطلب الثالث :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد الاجتماعي والثقافي في لبنان	
٢٦.	المبحث الثاني :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العراق	
٢٧.	المطلب الأول :سبل بناء هوية الوطنية على الصعيد السياسي في العراق	
٢٨.	المطلب الثاني :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد الاقتصادي في العراق	
٢٩.	المطلب الثالث :سبل بناء الهوية الوطنية على الصعيد الاجتماعي والثقافي في العراق	
٣٠.	المصادر	
٣١.	الخاتمة	
٣٢.	Abstract	

مقـــدمـــة

المقدمة

تُعدّ عملية استكمال بناء الهوية الوطنية إحدى الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدول الحديثة، لما تمثّله من تعبير عن مدى تماسك الأفراد والتفافهم حول وطنهم، وانصهارهم بمختلف انتماءاتهم الاجتماعية في إطار هوية جامعة. فالهوية الوطنية تمثل الإطار الذي يوحّد مكونات المجتمع تحت مظلة واحدة، ويعزز شعور الانتماء والولاء للدولة .وفي هذا السياق، تمكنت العديد من دول العالم المتقدم من تحقيق تقدم ملحوظ في ترسيخ الهوية الوطنية، عبر تعزيز مشاعر الانتماء لدى مواطنيها، وإرساء أسس سليمة لبناء هوية وطنية جامعة.

وفي المقابل، ما تزال العديد من دول العالم النامية تواجه تحديات كبيرة في هذا المجال، إذ لم تستطع التحرر بشكلَ كامل من هيمنة الهويات الفرعية التقليدية، سواء كانت(دينية ، طائفية ، عرقية ، قومية ، قبلية ، أثنية) الأمر الذي أعاق بناء هوية وطنية تتجاوز هذه الانتماءات الضيقة .وبالنسبة لحالتي العراق ولبنان، فإن كلَا البلدين يعانيان، منذ نشأتهما الحديثة في عام ١٩٢٠ وحتى الوقت الحاضر، من إشكالية بنيوية في بناء الهوية الوطنية. ويعود ذلك إلى تداخل وتشابك مجموعة من العوامل، منها ما يرتبط بالسياسات الداخلية والتحديات التي واجهت الدولتين، ومنها ما هو خارجي مرتبط بالتأثيرات الإقليمية والدولية، فضلاً عن طبيعة البنية الاجتماعية ومستوى الوعي الثقافي، إضافة إلى طبيعة الأنظمة السياسية التي تعاقبت على الحكم، وأساليب إدارة السلطة فيها .ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تشخيص واقع الهوية الوطنية في كلَ من العراق ولبنان، وتحليل الإشكاليات التي رافقت عملية بنائها منذ تأسيس الدولتين وحتى المرحلة الراهنة، عبر تسليط الضوء على أبرز التحديات والسياسات

المتبعة، فضلاً عن بيان أوجه التشابه والاختلاف بين التجربتين، واستكشاف السبل الكفيلة ببناء هوية وطنية جامعة هوية وطنية

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا الموضوع من عدة اعتبارات، يأتي في مقدمتها سعي الباحث، بوصفه مواطناً عراقياً، إلى تسليط الضوء على الأسباب الرئيسة التي دفعت بالهوية الوطنية الى التراجع في العراق، ومحاولة فهم الكيفية التي يمكن عبرها بناء هوية وطنية جامعة في كلَ من العراق ولبنان.

و تنبع الأهمية من الرغبة في دراسة الحالة اللبنانية بوصفها نموذجاً لنظام توافقي ديمقراطي، وما يواجهه من تحديات مشابهة في بناء الهوية الوطنية .فضلا عن، فإن هذه الدراسة تنطلق من منظور أكاديمي يسعى إلى معالجة ظاهرة معقدة ذات جذور تاريخية عميقة، إذ إنَ إشكالية الهوية الوطنية في كلَا البلدين لم تكن وليدة لحظة زمنية معينة، بل هي نتاج تراكمات تاريخية طويلة. وعليه، يسعى الباحث إلى تحليل هذه التراكمات وفق منهج علمي موضوعي، بهدف الوقوف على أخطاء الماضي، والاستفادة منها في تقويم انحرافات الحاضر، تمهيداً لبناء مستقبل قائم على هوية وطنية سليمة وجامعة .

إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من مجموعة من التساؤلات المحورية، من أبرزها :

١. هل توجد هوية وطنية متماسكة في العراق ولبنان ؟
٢. ما أبرز التحديات التي تواجه عملية بناء الهوية الوطنية في كلَ من العراق ولبنان؟

٣. ما السياسات التي اعتمدتها الدولتان لمواجهة هذه الإشكالية؟ إلى أي مدى نجحت هذه السياسات في تحقيق أهدافها؟

٤. ما السبل الممكنة لتعزيز الانتماء إلى الهوية الوطنية الجامعة؟

٥. هل تعود الإشكالية إلى خلل بنيوي في طبيعة المجتمع، أم إلى عوامل تاريخية مرتبطة بنشأة الدولتين، أم إلى طبيعة الأنظمة السياسية، أم إلى تأثيرات خارجية؟

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الهوية الوطنية في كلَ من العراق ولبنان لم تكتمل ملامحها بصورة متماسكة، نتيجة جملة من العوامل، في مقدمتها نشأة الدولتين في سياق تاريخي غير طبيعي، وما تعرضتا له من احتلالات وتدخلات خارجية عبر مراحل مختلفة .و تفترض الدراسة أن للعامل الخارجي دوراً بارزاً في التأثير على مسار بناء الدولة في كلَا البلدين، وانعكاس ذلك سلباً على مشروع بناء الهوية الوطنية. ويزاد على ذلك دور الأنظمة السياسية المتعاقبة التي ركزت على ترسيخ السلطة السياسية على حساب بناء هوية وطنية جامعة .فضلاً عن ذلك، تفترض الدراسة أن ضعف الوعي الوطني لدى المجتمع، مقارنة بالانتماءات الطائفية أو الدينية أو القومية، قد أسهم في إعاقة بناء الهوية الوطنية. و أن الانقسام المجتمعي وتعدد الطوائف، رغم كونه سمة إيجابية من حيث التنوع، إلا أنه تحول في ظل غياب إدارة رشيدة إلى عامل انقسام أثّر سلباً في وحدة الهوية الوطنية .

حدود الدراسة

الحدود الزمانية :تمتد من عام ١٩٢٠ لكلَ من لبنان والعراق وحتى الوقت الحالي

الحدود المكانية :فهي تدرس اشكالية بناء الهوية لكلَ من لبنان والعراق ومقارنتها

منهجية البحث

لتحقيق أهداف الدراسة واختبار فرضياتها، اعتمد الباحث على مجموعة من المناهج العلمية، تم توظيفها بما يتلائم مع طبيعة الموضوع، وعلى النحو الآتي :

١. المنهج التاريخي :لتتبع التطورات التاريخية المرتبطة بنشأة كلَ من العراق ولبنان، وتحليل جذور إشكالية الهوية الوطنية فيهما.
٢. منهج التحليل النظمي :عبر النظر إلى الدولة بوصفها نظاماً متكاملاً، وتحليل تأثير العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن دور العامل الخارجي في هذا النظام .
٣. المنهج الوظيفي :لتحليل الدور الذي تؤديه الأنظمة السياسية في الحفاظ على استقرار المجتمع واستمراريته، ومدى إسهامها في تعزيز أو إضعاف الهوية الوطنية.
٤. المنهج البنيوي :عبر دراسة البنية الداخلية للمجتمع، وتحليل مكوناته والعلاقات المتداخلة بينها، وتأثير ذلك في تشكيل الهوية الوطنية .
٥. المنهج السلوكي :للتركيز على سلوك صانعي القرار وتأثيره في رسم السياسات العامة، وانعكاس ذلك على بناء الهوية الوطنية.
٦. المنهج المقارن :في بيان أوجه الشبه والاختلاف في البلدين وفي الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخليا وخارجيا

و تم الاستفادة من المدخل الدستوري في تحليل الأطر القانونية والتنظيمية ذات الصلة، ولاسيما في الفصول التطبيقية من الدراسة.

الدراسات السابقة

استندت هذه الدراسة الى طيف من الأدبيات والدراسات السابقة التي تناولت إشكالية الهوية الوطنية ومسارات بناء الدولة في كلَ من العراق ولبنان، وذلك بهدف الإحاطة النظرية والعملية بمختلف أبعاد الموضوع .

فيما يتعلق بحالة العراق، تم الاستناد إلى عدد من المؤلفات والدراسات المهمة التي أسهمت في تحليل بنية المجتمع العراقي وتحديات بناء الهوية الوطنية فيه. من أبرزها كتاب (فالح عبد الجبار) المعنون إشكالية الهوية وبناء الدولة والمجتمع، الذي قدّم معالجة عميقة لطبيعة الهوية في العراق وعلاقتها بتكوين الدولة. و تم الاعتماد على أعمال (عبد الحسين شعبان)، ولا سيما كتابه الهوية والمواطنة والبدائل الملتبسة، الذي ناقش إشكالية المواطنة وتداخل الانتماءات في المجتمعات العربية .كذلك استفادت الدراسة من كتاب الحداثة المتعثرة،فضلا عن مؤلف الهندسة الاجتماعية لصناعة الإنسان والمواطن للدكتور (علي عباس مراد)، لما قدمه من تحليل لمسار التحول الاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية، وانعكاسه على بناء الهوية الوطنية.

و تم الرجوع إلى كتابات علي الوردي و"حنا بطاطو"، لما لها من أهمية في فهم البنية التاريخية والاجتماعية للعراق .ومن بين الدراسات الأخرى، تم الاعتماد على عمل المجتمع العراقي: حفرية سيكولوجية، الذي يتضمن بعض إسهامات (فالح عبد الجبار)، فضلاً عن أطروحة الدكتور أحمد غالب محيي الشلاه، والتي تناولت جوانب من اشكالية بناء الهوية الوطنية في العراق .

أما فيما يتعلق بحالة لبنان، فقد تم الاستناد إلى عدد من الدراسات التي تناولت إشكالية الهوية والانتماء في المجتمع اللبناني. من أبرزها رسالة الماجستير الموسومة إشكالية الانتماء والطائفية والهوية الوطنية في الجامعة اللبنانية، للباحث سلمان عساف، والتي ناقشت العلاقة بين الطائفية

وبناء الهوية الوطنية .مثلما تم الاعتماد على دراسات أخرى تناولت الواقع السياسي اللبناني وآفاقه، فضلاً عن بحوث حول المحاصصة السياسية وأثرها في الاستقرار الحكومي في لبنان. كذلك استفادت الدراسة من إسهامات عدد من المفكرين، من بينهم نصيف نصار، و"ويل كيمليكا" في مجال التعددية الثقافية، إضافة إلى كتابات عبد الرؤوف سنو و"منير خوري"، التي تناولت أسباب الحرب الأهلية اللبنانية وتداعياتها على بنية المجتمع والدولة. ومعرفة تاريخ لبنان عن طريق فواز طرابلسي وجورج القرم وقد أسهمت هذه الدراسات مجتمعة في توفير إطار معرفي وتحليلي مهم لفهم إشكالية بناء الهوية الوطنية في كلَ من العراق ولبنان، عبر إبراز التحديات البنيوية والتاريخية والسياسية التي تواجه كلَا البلدين، فضلاً عن تقديم مقاربات نظرية تساعد في تفسير طبيعة الانقسامات المجتمعية وإمكانيات تجاوزها .

هيكلَية الدراسة

تناولت هذه الدراسة موضوع :بناء الهوية الوطنية في مجتمعات ما بعد النزاع عبر دراسة مقارنة بين لبنان والعراق،إذ انطلقت بمدخل مفاهيمي تناول مفهوم الهوية الوطنية لغةً واصطلاحاً، وبيّن عناصرها وأنواعها وتقسيماتها، ثم تطرّق إلى مفهوم "ما بعد النزاع" وأنواعه .ركّز الفصل الأول على التحديات التي واجهت لبنان والعراق، والتي شملت الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن التحديات الخارجية المتمثلة بالتدخلات الدولية والإقليمية.

وكذلك تناولنا في المبحث الثاني ابرز السياسات المتبعة في لبنان والعراق وعلى مطلبين إذ تناولنا في المطلب الأول لبنان والثاني العراق على الصعيد السياسي والاقتصادي والإجتماعي والثقافي

وذلك عبر عرض منفصل لكلَ من البلدين ، عبر تحليل السياسات المتبعة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وفي الفصل الثاني تم عرض أبرز أوجه الشبه والاختلاف بين التجربتين في هذه المجالات،وعلى مبحثين لكلَ من لبنان والعراق .

في حين خُصّص الفصل الثالث لبحث سبل بناء الهوية الوطنية في مجتمعات ما بعد النزاع، إذ عرض أهم الآليات المقترحة في لبنان والعراق إلى ثلاث مطالب على المستويات السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية .

مدخل تمهيدي

على الرغم من اهتمام الباحثين والمفكرين بأزمات التنمية السياسية التي تعاني منها العديد من بلدان الجنوب وبالاشارة الى ماطرحه (لوسيان باي) في كتابه "أوجه التنمية السياسية"، إذ حدد

فيه ستة أنماط هي (الهوية والشرعية والمشاركة والتغلغل والتوزيع والاندماج) ، ومن بين هذه الازمات تظهر (الهوية) بدرجات متفاوتة من حيث شدة التأثير بين دولة وأخرى، ونرى في أزمة الهوية هي الابرز من بين الازمات التي يعاني منها العراق ولبنان وحتى الوقت الحاضر .

وفي المقابل عرفت البلدان التي نجحت في ترسيخ هويتها الوطنية الاستقرار السياسي والمؤسساتي والوحدة الوطنية، ولم تعرف نتيجة لذلك مشكلَة مجتمعية تؤثر في شرعية الدولة ونظامها السياسي، وإن حصلت فانها تحل ضمن اطار مؤسسي قانوني لا يحدث هزات اجتماعية بين مكوناته المجتمعية، ومن هنا تبرز اهمية الاهتمام بمسألة الهوية الوطنية والعمل على تعزيزيها ، ومن ثم تحديد سبل ترسيخها، ذلك أن الهوية الوطنية ركيزة أساسية من ركائز بناء الدولة وتحقيقها يؤدي إلى زيادة القدرة والقابلية على حل الأزمات التي يعاني منها المجتمع، من هنا كان اهتمامنا بموضوع الهوية الوطنية في لبنان العراق لأن بلورتها وترسيخها يعدان الأساس في نجاح العملية السياسية في تلك البلدين ونجاح التحول إلى الديمقراطية، ومن دون ذلك من الصعب الحديث عن عملية سياسية ناجعة.

والهوية الوطنية هي التي يتم بها التعرف على أصحابها (هم مثلما هم) ومع إنها الهوية المميزة لخصوصيات الاجتماعية والوطنية والثقافية لكنها قابلة للتأثر السلبي بما يجرح الكرامة الفردية والجماعية والمجتمعية والدينية والعرقية مما يدفع البعض للهجرة والانتساب للأوطان الآخرين اضطرارا وهذا لا يعني إن أصحابها قد مسحت هويتهم الوطنية من عقولهم وذاكرتهم وقلوبهم ولكن أنفسهم هي التي قد تأثرت بما يؤلمها من سوء خلق أم سوء سياسة .

في دائرة المتوقع لا وطن إلا وله هوية ،وفي دائرة غير المتوقع ،يصبح الوطن بلا هوية فمن أراد أن تكون له هوية بها يتميز مثلما يتميز الآخرين بهوياتهم الوطنية فعليه بالولاء إلى الوطن ، ومن يغفل عن ذلك أم يجهل يجد نفسه معنونا لعنوانات لا ترتقي به إلى تأسيس دولة .

وفي المجتمعات ما بعد النزاع، تزداد أهمية الهوية الوطنية باعتبارها الإطار الجامع الذي يُعيد صياغة العقد الاجتماعي، ويحدّ من الانقسامات الداخلية، ويُسهم في بناء الاستقرار السياسي والاجتماعي، ومن هنا جاء هذا الفصل ليضع أساساً نظرياً ومفاهيمياً للبحث، عن طريق تناول مفهوم الهوية الوطنية وعناصرها، ثم الوقوف على أبعادها في المجتمعات مابعد النزاع، واستعراض أهم التحديات والسياسات التي ساهمت في عملية بناء الهوية الوطنية.

١-تعريف الهوية الوطنية لغة وأصطلاحا :

وفي البحث عن الدلالة اللغوية لمفهوم الهوية فيقصد بها دلالة على شيء أم الشخص المراد تعريفه: فهي كلَمة مركبة من الضمير الغائب (هو) مضافا إليه(ياء) النسبة لتدل الكلَمة على ماهية الشيء أم الشخص ف "الهوية " هي الميزات والخصائص التي تمنح شيئا بعينه طابعا يميزه من الآخر.

فالهوية بضم (الهاء) وإضافة(ياء) مشددة وتاء المربوطة لا نجد لها معنى دلاليا لغويا في معظم المعجمات العربية فيدل ذلك على حداثة هذا الاصطلاح[١]

أما في البحث عن الدلالة الفلسفية وإذ ما عدنا إلى الأصول القديمة لمفهوم الهوية فإننا نجد (الفارابي) فقد عرفها بأنها كلَمة مولدة استقاها المترجمون القدماء من (هو) لينتقلو بواسطتها إلى العربية ،فالمعنى الذي تؤيده كلَمة(هست) بالفارسية وكلَمة (أستين)

(١)- المنجد في اللغة والاعلام ،ط٢،دار الشروق بيروت ،لبنان،٢٠٠٢،ص٣٩

باليونانية أي فعل الكينونة في اللغات الهندية ،الأوربية) الذي يربط الموضوع والمحمول ثم عدلوا عنها ووضعوا كلَمة (الموجود)مكان (هو) و(الوجود) مكان ال (هوية)[٢]

وعليه، فإن اعتماد على المفهوم اللغوي لكلَمة هوية، أم الاستناد إلى المفهوم الفلسفي الحديث، لا يغيّر من المعنى العام ولا يتغير، إذ يبقى دالاً على الامتياز عن الغير من حيث الخصائص والمميزات والقيم والمقومات .[٣]

أما في اللغة الانكلَيزية فالهوية (identity) فتعني معاني عديدة منها مطابقة الشيء ومماثلته لنفسه [٤]، وكذلك حقيقة بقاء الشيء مثلما هو عليه وتحت اي ظروف مختلفة، وتعني أيضا "كينونة الذات" أو "الشيء "وتميز هذه الذات عن غيرها، والخاصية التي تجعل شخصا ما معروفا أو متعينا، أو حقيقة بقاء شيء معين ثابتا ومعروفا، و تدل أيضا على التشابه التام في الطبيعة أو النوعية والمماثلة التامة[٥].

أما في اللغة الفرنسية، فهي تعني (KA rousse) فإن الهوية تقابل كلَمة *Identity*، وهي ذات أصل لاتيني، وتشير إلى مجموعة المواصفات التي تجعل من الشخص شخصاً معروفاً ومحدداً[٦].

وقد تباينت آراء الباحثين في هذا الجانب لمفهوم الهوية فبعضها تناول المفهوم من المنحى الفلسفي أوالصوفي معتبرا إن مفهوم الهوية فلسفيا يدل على حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه من غيره[٧].

---

[٢] –معن زيادة ،الموسوعة الفلسفية العربية،معهد الانماء العربي،ط١،مجلد١ ،١٩٨٦ ،ص١٠٣

[٣]–عبير بسيوني رضوان ،ازمة الهوية والثورة على الدولة ،المصدر السابق ،ص٨٦

[٤]–علاء عبد الرزاق ،الهوية العربية والاسلامية رؤى التقليدين وطروحات المحدثين ،ط١ ،دار امجد للنشر والتوزيع ،عمان ،٢٠١٨ ،ص١٦ .

[٥]– هزار صابر امين، اشكالية الدولة والهوية – الدولة العراقية والهوية الكردية نموذجا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩، ص٣٠ .

[٦]–علاء عبد الرزاق ،الهوية العربية والاسلامية رؤى التقليدين وطروحات المحدثين ،مصدر سابق ،ص١٦

[٧]– المعجم الوسيط ,مجمع اللغة العربية ,معهد الانماء العربي ,ط١ ,مجلد,١٩٨٦,ص١٠٣

اما في الجانب (الصوفي) فقد أخذ المفهوم طابع المثالية المطلقة التي لا يمكن إدراكها في الهوية عند المتصوفة وهي(الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبرة عنه كأنها بلاتعين, وهي أبطن البواطن[٨].

ونجد دراسات أخرى أكدت الجانب الميتافيزيقي لمفهوم الهوية وعدتها (الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق)[٩].

و يُعرّفها بول موصين (PAUL MOSIN) الهوية الشخصية الذاتية بأنها بنية ذهنية مركبة، تتضمن خصائص معرفية وعاطفية، تُشكلَ إدراك الفرد لنفسه بوصفه كائناً مستمراً ومنسجماً ومختلفاً عن الآخرين، وهو ما يمنحه الإحساس بالخصوصية الفردية [١٠].

و أما في العصور الحديثة وبعد ظهور فلسفة الهوية متمثلة بالفيلسوف الألماني(شيلينج)والتي تقوم على التوحيد بين المطلق والهوية على اعتبار أن المطلق لا يمكن أن يتحقق إلا عندما تبلغ الأشياء ذروتها في المثلمال وتصبح الهوية هي التي تحقق الوحدة بين الفكرة والطبيعة وبين الذات والموضوع [١١].

---

[٨] – المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية ،المصدر نفسه ، ص ١٠٣

[٩]– الجرجاني والسيد الشريف علي بن محمد ,التعريفات ,مكتبة المصطفى ,البابي الحلبي ,القاهرة ١٩٨٣,ص١٩٩

[١٠]–احمد غالب محي ،الهوية الوطنية العراقية :دراسة اشكالية البناء والاستقرار،اطروحة دكتورا ،كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد ،٢٠١٠ ،ص٥

[١١] –(شيلنغ)(١٧٧٥–١٨٥٤) وهو من تلاميذ "كانط"و"فيخته" في ان معا ، و قد تأثرت فلسفته شيلنغ بالمناخ الرومانطيقي الذي أخذ ينتشر في ألمانيا آنذاك كان شيلنغ قاعد ركز على الموضوع التالي :هناك انصهار مطلق أو وحدة كاملة بين الإنسان والطبيعة أو بين الروح والمادة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وقد شرح شيلينج تصوراته هذه في كتابين صدر تباعا: الأول بعنوان نظام المثالية ١٧٨٠ والثاني بعنوان عرض لفلسفتي وفيه يستعرض شيلنغ المحاور الرئيسية لفلسفته قد اعتمد على سيبونزا في بلورة فلسفته وكان من القائلين بوحدة الوجود أي وحدة الطبيعة ككل بما فيها الإنسان فلا يوجد شيء خارج الطبيعة والطبيعة هي كلية ما هو موجود ثم أصدر

وفي المرحلة المعاصرة ونتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها المجتمعات البشرية أخذ مفهوم الهوية يتعين بصورة أوضح إذ أسهمت عوامل عديدة في بلورته وفي مقدمتها تقدم فلسفة الذات ولاسيما وظهورا فلسفة الإنسان عموما وأذ لا يصبح الإنسان باحثا عن هويته وانتمائه إلا في عصر التحولات وتغير النماذج الإرشادية الحاكمة وتبدل المسلمات وتميع الهويات ،ومن هنا فإن إشكالية البحث عن الهوية ليست إلا أطروحة للتحول الحضاري والنهضة والبحث عن صياغة جديدة في تاريخ الأمم والشعوب وفي المجتمع العربي فهي تعد إشكالية تغيير النموذج الارشادي وهي المسيطر على هوية مجتمع بعينه وان هذه النماذج الإرشادية هي إنجازات حضارية اعترف بها المجتمع في عصر معين وشكلَت هويتها وأصبحت نموذجا للمشكلَات يتطلب صياغتها وايجاد الحلول لها [١٢].

فضلا عن تجاوز التفكير الميتافيزيقي والبحث في المطلق ليبدأ التساؤل عن الإنسان وماهيته والذات الإنسانية وإلى أي مدى يعي الإنسان هذه الذات لتصبح الهوية في هذه المرحلة مجموعة من القيم الجوهرية بالنسبة للإنسان تميزه عن غيره .

فالهوية بالنسبة للإنسان هي ما يميزه من غيره في جوهره ويكسبها شعور بالتمايز عن الآخر والتفرد في جعله أحد الصور التي يحملها في نفسه عن نفسه كذلك هي شعور بالتمايز أنا لست الآخر [١٣].

بعد إذ عدة كتب عن فلسفة الفن عام ١٨٠٣ وفلسفة الدين عام ١٨٠٤ والبحوث الفلسفية عن جوهر الحرية الإنسانية عام ١٨٠٩.

[١٢]– عمره علي بركات ،الهوية الجديدة بين موال كبني نبي وعلي عزت، مجلة القاهرة ،العدد ١٦٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة، ،١٩٩٦ صفحة ٣٨–٣٩

[١٣]– أحمد البرقاوي، تأمل في المسألة العربية، مجلة الفكر السياسي ،العدد ٢٦، إصدار اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ٢٠٠٦،

وهذا ما أكده العديد من المفكرين عندما عده الهوية منظومة متكاملة بمعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز ووحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية وهي تنضوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها ، ف"الهوية" هي واحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي وهذا يعني إن الهوية هي واحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عن من سواه فيشعر بوحدته الذاتية[١٤].

وهذه التعريفات الهوية على المستوى النظري المجرد بوصفها مجموعة من القيم الجوهرية المطلقة أخذت معاني عديدة بحسب كلَ مرحلة وبحسب الاتجاه المعرفي في تلك المرحلة ومحتوى خطابه الفلسفي سواء بالمعنى الوجودي أو الفلسفي أو الصوفي أو الإنساني ليكون الجوهر المطلق هو المشترك الذي يدلل على الثبات التفرد والوحدانية .

وبعد البحث في الجانب النظري إلى مفهوم الهوية سواء كان الحقيقة المطلقة أم الجوهر الثابت الذي لا يتغير أم كان مجموعة من القيم والمبادئ الجوهرية التي تعبر عن جماعة ما.

وفي سياق هذا الهدف ليس الدراسة بالجانب النظري لمفهوم الهوية فحسب بل دراسة الهوية كمشكلَة عربية معاصرة متعينة في الواقع العربي المعيش ، أي دراستها كحالة شعورية يعيشها الإنسان العربي بتعييناتها سواء في واقعه ام في مجتمعه أم في وعيه ونظرته إلى العالم وسلوكه ومعتقداته وعقائده فيتحول عندها المفهوم المجرد للهوية إلى خطاب يعبر به عن حالة الأمة العربية في واقعها.

---

[١٤] –أليكس ميكشيللي،الهوية،ترجمة :علي وطفة،دار معد ،دمشق ،١٩٩٣،ص١٥

ويشكلَ البعد التاريخي رصيدًا رمزيًا يمد الجماعات بإرث يمكن أن يعزز أو يضعف من الهوية الوطنية، فيما يسهم البعد الجغرافي،[١٥] بما يحمله من تأثير على الثقافة والعادات والتقاليد، في رسم الحدود الفاصلة مع الهويات الأخرى[١٦] أما علاقة الدولة بالهوية، فقد تنوعت التفسيرات حولها، (فماركس) عدّها أداة بيد الطبقة المهيمنة، بينما نظر إليها (فيبر) كجهاز بيروقراطي يحتكر العنف المشروع لضبط المجتمع[١٧]، في حين رأى (دوركايم)أن الدولة ذات وظيفة أخلاقية وقيمية، تعزز التضامن بين الأفراد عبر تقسيم عادل للعمل وضمان الحرية. وبذلك تتداخل الأرض والدولة مع التاريخ في صياغة مكونات الهوية الوطنية وتحديد أطرها الجامعة[١٨].

فضلا عن، يرتبط الوطن بمفاهيم مثل السيادة والانتماء والهوية الوطنية، إذ يعد وطن الفرد بمثابة المكان الذي ينتمي إليه ويعبر عن ثقافته وتاريخه، مثلما أن الوطن يمكن أن ينظر إليه باعتباره عنصرا مركزًيا في تكوين الهوية الشخصية والجماعية للأفراد والمجتمعات[١٩] .

أما الهوية الوطنية التي ظهرت بعد سقوط الامبراطوريات ويذكرها الشريف علي ابن محمد الجرجان سنة ٨١٦ هجرية يستخدم الهوية التي تتعلق بالذات المطلقة أم الذات الإلهية

---

[١٥]–حسن حنفي ،الهوية والاغتراب في الوعي العربي ،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات ،ط١ :بيروت ،٢٠١٣ ،ص٤٥–٤٧ .

[١٦]–عماد عبدالغني ،سوسيولوجيا الهوية :جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط١ ،بيروت ،٢٠١٧ .

(١٧)–انتوني غدنز ،علم الاجتماع ،ترجمة فايز الصباغ ،المنظمة العربية للترجمة ،ط٤ ،بيروت ،٢٠٠٥ ،ص٥٤

[١٨]–محمد غزالي ،مدخل الى علم الاجتماع ،دار الكتاب الحديث ،ط١ ،الجزائر ،٢٠٢٥ ،ص١١٢–١١١

[١٩]–عبير بسيوني رضوان ،ازمة الهوية والثورة على الدولة ،دار السلام ،ط١ ،مصر ،٢٠١٢ ،ص٩٦

[٢٠]،فالهوية الوطنية قد تكمن في اللغة في العراق أو في الدين مثلما ذكر ساطع الحصري سنة ١٩٦٨ ان الهوية هي اللغة وليست الأرض ولكن الجغرافية هي التي تصنع الهوية [٢١] ،ومثلما أن الملك فيصل استخدم مصطلح الأمة بدلا من الهوية الوطنية التي يدخل بها الدين والمذهب وبسبب الايدولوجيات شتت الهوية بعد احداث ١٩٢١ وهيئة لما بعد لهويات الفرعية .

والدولة تقلل من التعبير للهويات الفرعية ،وان (ديكارت) أهم من بحث عن الهوية في سياق الإجابة عن الإشكالية الفلسفية الذي تطرحه قضية "هوية الشخص"، يرى (ديكارت) أن: العقل هو جوهر الذات الإنسانية وبدونه لا يمكن للإنسان أن يشك ويفهم ويتصور ويتخيل ويعي نفسه ويدرك وجوده ويبلغ الحقيقة ، بما في ذلك حقيقة الوجود الذاتي والهوية الشخصية [٢٢]، ومن هنا فإن أساس هوية الشخص بنظره هو العقل والفكر، وما يؤكد بنظره هذه الحقيقة التي تحمل طابع البداهة والوضوح في الأصل هو أنه موجود بهذه الصفة حتى ولو كان نائما دائما، وعن طريق هذا يتبين أن حقيقة الأنا هي كونها ذاتا مفكرة، تستطيع أن تثبت وجودها عن طريق هذا الفكر نفسه. الذي ينطلق من الذات ليعود إليها ، هذا ما تؤكده مقولة ديكارت الشهيرة "أنا أفكر إذ أنا موجود" .

اما (سيغموند فرويد) فكان له رأي في الهوية فيرى في نظرية التحليل النفسي ، تؤدي "الأنا " دورا حاسما في التعبير عن الهوية عن الطريق التوفيق بين مطالب "الهو "المندفعة و"الأنا الأعلى " الأخلاقية، في إطار الواقع ،(الأنا) هي الجزء العقلاني من النفس، وهي تعمل كوسيط بين

---

[٢٠] –السيد الشريف علي بن محمد الجرجان،التعريفات ،مكتبة مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة ،١٩٨٣

[٢١] –ساطع الحصري ،اراء واحاديث في الوطنية والقومية ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،١٩٨٥

[٢٢] –رينيه ديكارت،التأملات في الفلسفة الأولى،ترجمة أمين عثمان ،المركز القومي للترجمة ،بيروت،٢٠٢٠،ص٢٨

العالم الداخلي (الهو) والعالم الخارجي (الواقع)، وتسعى لإشباع رغبات الهو بطرق مقبولة اجتماعًيا [٢٣] .

في حين يرى الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) أن الهوية الوطنية، مثل الهوية الشخصية، تتشكلَ عبر الوعي والذاكرة .ويؤكد لوك أن استمرارية الشخصية عبر الزمن تعتمد على استمرار الوعي والذاكرة وليس على الجوهر المادي أو الروح .وبالمثل، يمكن القول إن الهوية الوطنية تتشكلَ عبر الوعي المشترك بتاريخ وثقافة وقيم مجتمع ما، فضلا عن الذاكرة الجماعية للأحداث والخبرات المشتركة [٢٤] .

وقد قدم (شوبنهاور) فكرة مفادها أن الإنسان ينظر إليه كإرادة في الحياة، محكوم عليه بالشقاء والتعاسة، فالشخص لا يخضع لقوانين، بل يخضع لإرادة عبثية تتجاوزه وتتجلى في رغباته ،وهذا مايخلق هويات فرعية تتعالى فيها الإرادة الفرعية على الوطنية [٢٥].

ولكن اين الدين من هذا كلَه ،فالدين يتعبر هوية بحد نفسه ويلعب دورا في تحديد الهويات الفرعية ،والسؤال الأهم هل ينسجم العالم مع تعدد الهويات؟

وللاجابة عن السؤال اعلاه يتضح ان للدين دور مهم في كلَ من العراق ولبنان عبر دور الدين بالهوية الوطنية إذ تُعد مصادر الثقافة الإسلامية، وهي "القرآن الكريم "و"السنة النبوية"، المعين الأساس للعلوم الإسلامية واللغة العربية، والمرجع الذي يهتدي به المسلم في بحثه عن الحقائق في مجالات المعرفة والوجود والقيم، وفيما يتعلق بالفكر والواقع والنظر والسلوك. ويُعد "القرآن الكريم "المصدر الأساس للهوية الإسلامية بفضل ما ورد فيه من تعاليم دينية وأخلاقية

---

[٢٣] – سيغموند ،الانا والهو، دار الشروق ،ترجمة محمد عثمان نجاتي ،بيروت ،ص١٥٩

[٢٤] –جان جاك روسو،العقد الاجتماعي،ترجمة عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي،القاهرة،٢٠١٣م،ص٩٧

[٢٥] –ارتور شوبنهاور،العالم كارادة وتمثلا،ترجمة سعيد توفيق ،دار الشروق،بيروت،١٩٨٢م،ص١٤٠

واجتماعية، ولكونه صالحًا لكلَ زمان ومكان، ومسايرًا لمتطلبات كلَ عصر ومستجداته، الأمر الذي يجعله ركيزة مهمة في بناء الهوية الوطنية وترسيخ قيمها. مثلما تشكلَ السنة النبوية المصدر الثاني الأساس للثقافة الإسلامية، وقد اعتمد المسلمون في نهضتهم الفكرية والعلمية والحضارية على القرآن ودعوته، واعتمدوا كذلك على سنة نبيهم بعد أن جمعوها ودونوها وفصلوا أبوابها واستثمروها في جهودهم العملية ومناهجهم المعيشية، وبذلك تكون الثقافة الإسلامية المنطلقة أساسًا من القرآن والسنة ثقافة إنسانية متفتحة داعية إلى التعايش والحوار والتفاهم، وهو ما يعزز دور الدين في ترسيخ الهوية الوطنية وتقوية روابطها الثقافية والحضارية بين أفراد المجتمع [٢٦].

ويؤكد (سمير أمين) أن العولمة لها تأثير كبير على الهوية الوطنية والتي لا تعني بالضرورة (قرية كونية) متجانسة، بل هي عملية معقدة تتسم بالصراع والتناقض ،ويرى أن العولمة، في شكلَها الحالي، غالًبا ما تكون مدفوعة بمصالح القوى الرأسمالية الكبرى وتؤدي إلى استغلال الدول النامية ،ويشير إلى أن الهويات الوطنية تتأثر بالعولمة، لكنها لا تختفي، بل قد تتشكلَ بطرق جديدة وتتكيف مع التغيرات،ويصفها بالهوية المرنة وقصد بذلك قدرة المجتمعات على التكيف مع التغيرات العالمية مع الحفاظ على جوهر هويتها .يرى أن الهوية ليست شيئًا ثابتًا، بل هي عملية مستمرة من التشكيل والتكيف، ويضيف الى ذلك سمير أمين أن مفهوم "القرية الكونية" الذي يروج له البعض، يفترض تجانساً ثقافياً واجتماعيا عالميا .لكنه يرى أن العولمة،

---

[٢٦]–عبير بسيوني رضوان ،ازمة الهوية والثورة على الدولة ،مصدر سبق ذكره ،ص١٠٧

في الواقع، تخلق توترات وصراعات بين القوى المختلفة ,وان الهويات الوطنية ما تزال تؤدي دوراً مهماً[٢٧].

في حين يرى (علي حرب) وهو مفكر لبناني أن التعارض مع العولمة بما فيها السلطتين وغيرهم كمن يركب القطار عكس سيره ولكن القطار سائر، إذ يناقش أن مقأممة العولمة بإنكارها أم رفضها المطلق مثل محاولة مجابهة قطارٍ جارٍ، وأن المطلوب استيعاب التغير وابتكار معادلات حضارية لإدارة الواقع بدلاً من الإنكار الصرف [٢٨].

(امين معلوف) وفي كتابه "الهويات القاتلة"، يربط بين الهوية والعنف، إذ يرى أن الهوية ليست مجرد انتماء بسيط، بل هي مركب من انتماءات متعددة يمكن أن تتصارع فيما بينها .عندما يتم التعامل مع الهوية بطريقة متطرفة، أم يتم استخدامها لتبرير العنف والتمييز، تتحول إلى "هوية قاتلة " . ومعلوف يدعو إلى التسامح والاعتراف بتنوع الهويات، ويرى أن الهوية الحقيقية هي التي تحتفي بالتعددية وتقبل الآخر [٢٩].

ويؤكد معلوف أن الهوية ليست كيانًا واحدا، بل هي مزيج من انتماءات مختلفة (دينية، قومية، ثقافية، إلخ) .وعندما تتصادم هذه الانتماءات، أو عندما يتم استغلالها بشكلَ سلبي، يمكن أن تؤدي إلى العنف والصراع .ويشير معلوف إلى أن الهوية تتحول إلى "قاتلة" عندما تصبح متعصبة، متطرفة، وتستخدم لتبرير العنف والإقصاء ضد الآخرين،ويدعو معلوف إلى التسامح وقبول التنوع، وأن الهوية الحقيقية هي تلك التي تحتفي بالآخرين وتقبل الاختلاف معتبرا ، ويرى

---

[٢٧] –د.سمير امين ،سيرة ذاتية فكرية،دارالاداب ،بيروت ط١ ،١٩٩٣،ص٨

[٢٨] –علي حرب،حديث النهايات –فتوحات العولمة ومازق الهوية،المركز الثقافي العربي ،ط١،بيروت ،٢٠٠٠،ص١١

[٢٩] –امين معلوف ،الهويات القاتلة،ترجمة :نهلة بيضون،ط١،دار الفارابي،بيروت،٢٠٠٤،ص١١٥

معلوف أن الهوية تحتاج إلى "ترويض" و"تدجين"، أي التعامل معها بحكمة وتوازن، بدلاً من قمعها أم تجاهلها .ويشير معلوف إلى أمثلة تاريخية مثل الحرب الأهلية اللبنانية والصراعات العربية الصهيونية، إذ تم استخدام الهوية لتبرير العنف والقتل، يؤكد معلوف على أهمية دور المجتمع في تشكيل الهوية، وكيف يمكن للتفسيرات الاجتماعية للدين أم القومية أن تؤدي إلى التطرف .ويدعو معلوف إلى التفكير النقدي في الهوية، وفهم كيف يمكن أن تكون الهوية أداة للخير أم للشر[٣٠].

ويؤكد (جان جاك روسو) أن الهوية الوطنية تتشكلَ عبر الذاكرة والتاريخ والوعي بها، مماِ يجعلنا نعتقد بوجود هوية ذاتية مشتركة ،بمعنى آخر، فإن ما يجمعنا كأمة هو الوعي بتاريخنا المشترك، والذاكرة الجماعية، والإحساس بالانتماء إلى هذا التاريخ وهذا الوعي[٣١] .

ويشير روسو إلى أن الهوية الوطنية ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي تجربة حية تتشكلَ عبر التفاعل مع الذاكرة الجماعية والتاريخ المشترك .فالذاكرة تحفظ الأحداث والخبرات التي تشكلَ الهوية الوطنية، بينما التاريخ يقدم لنا سردا لهذه الأحداث والخبرات ،والوعي بهذه الذاكرة والتاريخ هو ما يجعلنا ندرك هويتنا الوطنية ونشعر بالانتماء إلى الأمة [٣٢].

ويرى (أحمد عثمان)أن الهوية الوطنية هي مفهوم يتشكلَ عبر تفاعل الفرد مع المجتمع، إذ يرى أن الشخص هو نفسه، لكن الذات (أم الهوية) تتشكلَ وتتطور ضمن إطار الهوية الوطنية

---

[٣٠]–امين معلوف ،الهويات القاتلة ،مصدر نفسه ،ص١١٥

[٣١] –جان جاك روسو ،العقد الاجتماعي ،مصدر سبق ذكره ،ص٦٠

[٣٢] –جان جاك روسو ،العقد الاجتماعي ،مصدر نفسه ،ص٦٠

.بمعنى آخر، الشخص هو الكائن الفردي، بينما الهوية الوطنية هي الجانب الاجتماعي والوطني من هذا الشخص، وهي تتأثر بالثقافة والقيم والمفاهيم المشتركة داخل الوطن [٣٣].

وفي كتاب "هوية بأربعين وجه "لمؤلف (داريوش شايغان) يصف الهوية الوطنية كنبات الزنجبيل تمتد بالأرض وتفرع جذورها ،أي انها متنوعة ولايوجد شيء اسمه هوية أصلية [٣٤].

ويمكن أن نعرف الهوية الوطنية بأنها نزعة سلوكية بين أفراد الأمة تؤدي إلى بلورة حالة من التطابق والتماثل فيما بينهم لخلق شعور وطني موحد يحمي ويعزز خصوصيتهم[٣٥].

ويمكن تقسيم الهويات على ثلاثة :

أ–الهوية الشخصية (الذاتية): يشير مفهوم الهوية وفق هذا التسمية إلى كلَ ما يُشخّص الذات ويميّزها عن غيرها، ويندرج ضمن هذا الإطار ما يمكن تسميته(ببطاقة الهوية)، التي تتضمن الاسم واللقب وتاريخ الولادة ومكانها، إلى جانب بعض العلامات الحيوية وتوقيع حاملها، أي أن هناك منظومة متكاملة من الدلالات التي تشير إلى أن حامل هذه الوثيقة هو شخص محدد (فلان)، بما ينفي وجود أي شخص آخر مطابق له تماماً، وبعبارة أكثر تبسيطاً، مثلما يذكر أمين معلوف"إن هويتي هي التي تعني أنني لا أشبه أي شخص آخر" [٣٦].

---

[٣٣] –احمد عثمان ،مقال منشور على الموقع الالكتروني https://alislah–ye.net/articles.php?lng=arabic&aid=889 ،موقع التجمع اليمني للإصلاح ،٢٠٢٥/٠٩/١٣

[٣٤] –داريوش شايغان ،هوية بأربعين وجها ،ترجمة :حيدر نجف ،مركز دراسات فلسفة الدين ،بغداد،٢٠١٦ ،ص٢٢٦

[٣٥] –احمد غالب الشلاه ، الهوية الوطنية العراقية – دراسة في إشكالية البناء والاستمرار ، بغداد ، مركز العراق للدراسات ،٢٠١٨ ،ص ٤٠

[٣٦]–امين معلوف ،الهويات القاتلة ،ترجمة نبيل محسن ،ط١ ،ورد للطباعة والنشر ،دمشق ،١٩٩٩ ،ص١٤

ب- الهوية الاجتماعية :لا يستطيع الإنسان، في فردانيته المباشرة وشخصيته الذاتية، مهما بلغ من مستويات التقدم الاجتماعي والثقافي، أن يلبّي متطلبات الحياة الاجتماعية دون أن يكون منضوياً تحت إطار جماعة اجتماعية معينة .فحاجة الأفراد إلى الهوية تنبع من رغبتهم العميقة في تحقيق تقدير الذات، الأمر الذي يدفعهم للبحث عن إطار جماعي مركب يحقق لهم وجودهم الجماعي. فالذات الاجتماعية تنتمي دائماً إلى كيان أمسع منها وأكثر اكتمالاً، وهي في حالة بحث دائم عن جذورها وأصولها[٣٧] .

ومن النص اعلاه يتضح الفرق بين الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية، إذ تشير الأولى إلى كيفية رؤية الأفراد لأنفسهم كذوات مستقلة، بينما تشير الثانية إلى كيفية إدراكهم للجماعات التي ينتمون إليها .غير أن هذه الهويات الاجتماعية لا تكون على الدرجة نفسها من الأهمية أو الفاعلية، إذ تبرز بعض الهويات دون غيرها تبعاً لانتماءات ذات تأثير واسع في حياة الأفراد، وبحسب الجماعات المرجعية التي توجه سلوكهم على المدى القريب والبعيد .بل إن بعض هذه الهويات تكتسب أهميتها في لحظات الحدث، فتظهر على السطح في مواجهة "الآخر" المختلف، ففي بعض الحالات يؤكد الأفراد الجانب من هويتهم الذي يربطهم بالآخرين، بينما في حالات أخرى يؤكدون الجانب الذي يميزهم عنهم .فعلى سبيل المثال، تتعزز الهوية الوطنية عند الأفراد عندما يسافرون إلى بلد آخر، أو عندما يتعرض وطنهم لتهديد خارجي [٣٨].

يُستنتج من ذلك أن الواقع السياسي المعاصر قد فرض على كلّ فرد في العالم امتلاك هوية دولية، أي هوية دولة ينتمي إليها، إذ لا يمكن لأي إنسان أن يشارك في أبسط أشكال الحياة

---

[٣٧]-علي طاهر الحمود ،العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ،ط١ ،بيروت ،٢٠١٧ ،ص٣١

[٣٨]-معتز اسماعيل الصبيحي ،التحليل السياسي للانظمة السياسية المعاصرة وازماتها ،ط١ ،المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ،برلين ،المانيا ،٢٠١٩ ،ص١٧٧

العامة بصورة طبيعية دون هذا الانتماء .وفي حين أن الهويات الأخرى الناتجة عن تعدد الانتماءات لا ترقى إلى مستوى هذه الضرورة، فإن هوية الدولة تبقى شرطاً أساسياً. وبناءً على ذلك، يجد الفرد نفسه ملزماً بامتلاك هوية دولة، بوصفها هوية تتجاوز باقي الهويات والانتماءات . وبعبارة أخرى، يمكن للفرد أن يتخلى عن بعض هوياته الفرعية، لكنه لا يستطيع الاستغناء عن هوية الدولة، لأنها تمكّنه من ممارسة حياته بصورة طبيعية .ولما كانت الدولة الحديثة دولة ترابية تعبّر من إذ المبدأ عن إرادة المجتمع ومصلحته، فإن الانتماء إليها يُعد انتماءً إلى المجتمع والأرض معاً، وبذلك تصبح الهوية المرتبطة بالدولة هوية متعالية على سائر الهويات الأخرى في المجتمع.

٣-عناصر الهوية الوطنية

هناك مجموعة من العناصرالتي تسهم في تعيين الهوية لدى الإنسان عموما، فالإنسان ينتمي إلى الأرض التي يعدها موطنه الاصلي و الذي نشأ فيه، و تعلم قيمه، واسهم في تكوين شخصيته عموما، وفي الوقت نفسه يعد الإنتماء العرقي من السمات الأساتذة تحقق وجود الإنسان و تطبعه بطابع جمعي يحقق له مكانة إجتماعية ضمن قومه، ناهيك عن اللغة التي كانت عبر التاريخ سمة أساسية في تحديد هوية أي جماعة بوصفها اداة مشتركة في التفكير، وأخيرا يأتي وحدة العامل الديني والروابط المشتركة ،ولاسيما في عصرنا الراهن، إذ تعمل على دمج مجموعة الانتماءات في انتماء كلَي، على سبيل المثال حال أوربا اليوم على الرغم من عدم تجانس خليطها وتركيبتها على الصعد جميعها الا أن المصير والأهداف المشتركة كالاقتصاد مثلا أعطاها صبغة واحدة .

ومن هذه العناصر هي :

أ-اللغة

تشكلَ اللغة عنصرا مهماً من عناصر أي ثقافة إذ أنها تمثل عامل انسجام لأي منظومة إجتماعية ،وتحقق بينها التواصل والحوار ،وتعد رمزا من رموزها، فبالقدر الذي تكون فيه اللغة قوية وحاضرة تكون الجماعة متماسكة تشكلَ أمة شعبا واحدا ،وفي وقت نفسه تعد اللغة أداة للتواصل بين الأجيال لذلك عرفها "ابن جني" بأنها أصوات يعبر بها كلَ قوم عن أغراضهم [٣٩]

وهذا يدل على أهمية اللغة كأداة للتفكير،و كونها أداة التفكير فهي تعبر عن ثقافة الشعب وحضارته وارثه لتكون بذلك وسيلة يعبر بها كلَ قوم عن نفسهم ومشاعرهم وانتمائهم إليها ،ولكن كونها وسيلة على أهمية ذلك لا ينفي أن تضحى غاية، وعندها تتجاوز في مرحلة لاحقة وظيفتها في (التواصل) بين الجماعة إلى التكوين خصوصية الجماعة والحفاظ عليها، في علاقة جدلية مركبة بين أصحاب اللغة ولغتهم .

ومن هذا المنطلق تكون اللغة مثلما ذكر(أحمد برقاوي) من أهم مقومات تعيين الهوية ،اذ ان الشعور بالانتماء يضعف أم يزول من دون اللغة [٤٠].

و تُعدّ اللغة ركناً جوهرياً في صون هوية الأمة وتماسكها، إذ تسهم في توحيد مشاعر أبنائها وتوجيه فكرهم، وتربط حاضرهم بماضيهم وتاريخهم المشترك. فاللسان الواحد لا يقتصر دوره على نقل المعاني، بل يعبر عن رسالة الأمة الجامعة ويعزز شعورها بالانتماء، وهو ما جعل اللغة

---

[٣٩] -ابن جني ،الخصائص ،تحقيق :محمدعلي النجار،ط٣،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٦،ص٣٣

[٤٠] -احمد البرقاوي،الثقافة العربية المصرية ،المجلة الثقافية ،إصدارات صحيفة الجزيرة ،عدد:١٢٨ ،٢٠٠٥،ص١

العربية على وجه الخصوص مكوّناً حضارياً أصيلاً وركيزة أساسية في ترسيخ فكرة العروبة، بما تتيحه من قدرة على تحقيق التواصل والتقارب بين أفراد المجتمع. [٤١].

وإذ نظرنا إلى اللغة بمعنى الكلَام لوجدناها ترتبط أيضا بفكرة إن الكلَام شيء تشتد الحاجة إليه ، ومن ثم بعد فإنه ينبغي أن يلقى ليحقق التواصل بين أفراد الجماعات اللغوية [٤٢].

ناهيك عن ارتباط اللغة بالوضع السياسي والاقتصادي والثقافي القائم إذ إن اللغة قد تقوى وتكون حاضرة بقوة الذين ينتمون إليها وحضورهم ،وتضعف بضعف الدولة وتراخي انتمائها وسياستها واقتصادها وثقافتها ،وهذا هو حال اللغة العربية، فنتيجة الوضع العربي القائم وما فيه من تجزئة وتبعية وضعف على الصعد لكافة تضعف اللغة العربية أمام اللغات الأجنبية الأخرى التي تحاول أصلا طمس اللغة العربية وتهميشها[٤٣].

ب-الدولة

مع نشوء الدولة نشأ نمط جديد من الهوية إذ إنَ فكرة الدولة تخلق فكرة المواطنة والمساواة ،والدولة تنمي لدى المواطن شعورا مشتركا بالانتماء الى هوية جامعة تتجاوز الانتماءات الضيقة الأثنية والعرقية والدينية ،فلا توجد هناك هوية لا تتعين بالشعور بالانتماء والشعور بالانتماء لا يتعين إلا بالجنسية ولا يتعين إلا بالدولة[٤٤].

---

[٤١] -رجاء النقاش ،الانعزاليون في مصر ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،١٩٧٦،ص٣

[٤٢] -محمد عبدالرؤوف المناوي،التوقف على مهمات التعاريف،تحقيق محمد رضوان الداية،دار الفكر ، دمشق ،١٩٩٠،ص٦٢٢

[٤٣] -محمد عبد الرؤوف المناوي ،التوقف على مهمات التعاريف ،المصدر نفسه ،ص١٧

[٤٤] -احمد البرقاوي ،تامل في المسالة العربية،مجلة السفير ،٢٠١٠،ص٣

وبالنسبة إلى العرب فمازالوا يعيشون قبل مرحلة الدولة التي تفتقر إلى التصنيع ،والبعيدة كلَ البعد عن دولة المواطنين ،الأمر الذي يجعل من الهوية يجعل الهوية القومية غير مكتملة ، فالهوية القومية تكتمل حين يجري تجسيدها وممارستها في إطار دولة قومية ترعى شؤون مواطنيها وحاجاتهم عندها يشعر المواطنين بإنتماء حميمي للدولة ،أما حين فلا يتم تحقيق ذلك فتبقى الهوية القومية ذات طابع كفاحي [٤٥].

ت–العامل الاقتصادي :يرتبط العامل الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً بالهوية، إذ تتأثر الهوية بمستوى التنمية، فكلَما كانت التنمية مستقرة، كانت الهوية مستقرة وقوية، والعكس صحيح .ويظهر ذلك بوضوح في البلدان العربية عموماً، والعراق على وجه الخصوص، إذ شهد تحولاً من النظام الاشتراكي قبل عام ٢٠٠٣ إلى النظام الرأسمالي بعد ذلك، مما أثر في وضوح الهوية الاقتصادية واستقرارها[٤٦].

ث– العامل السياسي :تسعى الهوية السياسية إلى إيجاد مرتكزاتها داخل الهوية الثقافية، ليس لأن هذه الأخيرة تعبر بالضرورة عن المصالح، بل لأن لها دوراً مهماً في الصراع غير المتكافئ على السيطرة والهيمنة في العالم، ويمكن القول إن الهوية السياسية قد تشكلَ دافعاً لهوية متحركة ومتجددة، أكثر سرعة في التغير من الهوية الثقافية، إذ تتشكلَ في ضوء الأوضاع الداخلية والخارجية، أكثر من ارتباطها بالذاكرة الجماعية أم الفردية، ومن هنا، فإن أشكال الانتماء

---

[٤٥] –مروان دويري،التعددية الثقافية القومية،مجلة عدالة الالكترونية ،عدد:٧ ،٢٠٠٤،ص٣

[٤٦]–عويسي امين ،النظام الاقتصادي والثقافة الاجتماعية :العلاقة والافرازات ،دار احياء النشر الرقمي ،٢٠١٤ ،ص١١٢

السياسي تمثل التعبير الأكثر واقعية عن معطيات العصر، مهما اختلفت مرجعياتها الثقافية ورموزها[٤٧].

ج–الانتماء : هو يمثل غريزة فطرية لا تقتصر على الانسان فحسب، بل ترتبط كذلك بالعديد من أنواع الكائنات الحية، إذ تنتمي جميع هذه الكائنات إلى نوعها، وإلى الأرض التي تعيش عليها، وإلى البيئة التي خرجت منها أم تعيش فيها، مثلما تستمد هذه الكائنات قوتها ومعيشتها من هذا الانتماء، في حين أن افتقاد الانتماء يُعد أحد أسباب تعاستها، لأن فقدان الهوية يمثل خللاً في أسباب وجودها ودورتها في الحياة، وقد يصل الأمر إلى فنائها. وعبر ذلك يمكن القول إنَ الانتماء لا تعود منافعه على المكان أم البيئة فحسب، بل تعود على الكائن نفسه، ومن ثم فإن الانتماء يُعد سراً من أسرار الحياة وأساساً لاستمرارها. و أن فقدان الكائن الحي لهذا الانتماء يجعله في حالة منبوذة داخل المجتمع، مفتقداً لجودة حياته. ويبدأ الانتماء من الأسرة، ثم يمتد إلى العمل والبيئة المحيطة، وكلَها تشكلَ أساساً لانتماء الفرد إلى الوطن[٤٨].

ح–التحضر: فهو مقياس ومعيار يعكس مستوى التقدم والارتقاء لأي مجتمع من المجتمعات، وهو سلوك يظهر في العمل والشارع والبيت، مثلما يظهر في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية على المستوى العام، ويبدو كذلك في التصرفات واللغة والحوار. ولا يقتصر السلوك الحضاري على الأفراد فحسب، بل يشمل السلوك الجماعي للمجتمع، سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الوطن [٤٩].

---

[٤٧]–عبير بسيوني رضوان ،ازمة الهوية والثورة على الدولة، مصدر سبق ذكره ،ص٩٢

[٤٨]–احمد زكي بدوي ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،ط٢ ،بيروت ،١٩٨٦ ،ص٣٩

[٤٩]–عبير بسيوني رضوان ،ازمة الهوية والثورة على الدولة ،مصدر سبق ذكره ،ص٩٤

خ–الروابط المشتركة: وهي من الأسس المهمة في صناعة الهوية، مثلما أن عناصر تكوين الدولة تتمثل في الشعب والإقليم والسلطة، إلى جانب الحد الأدنى من الثقافة المشتركة اللازمة لإقامة الحياة المشتركة، ويُلاحظ عبر هذا التعريف وجود تشابك كبير بين المكان والزمان، أي التفاعل بين الدولة والهوية والتاريخ والجغرافيا، وبرغم التوثيق بين هذه العناصر، فإن وجودها يبقى مرتبطاً بعضها ببعض في أفق محدد، وإذ ما حدث تقاطع بينها، فإن ذلك يؤدي إلى ظهور المشكلَات وبروز أزمة الهوية(٥٠).

د– الثقافة الشعبية المشتركة: إذ تعد من المرتكزات الأساسية، إذ تمثل الثقافة روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الدعائم الجوهرية في بناء الأمم ونهوضها. فلكلَ أمة ثقافة تستمد منها عناصرها، وتُقوِم خصائصها، وتتميّز بصبغتها اللاسيما، وتُنسب إليها. ويُعد المكون الثقافي مفهوماً أساسياً في تعريف الهوية، نظراً لأن الهوية الثقافية تقوم على نظام القيم والأخلاق، وعلى الإبداع الفكري والأدبي والفني لكلَ أمة أو شعب، بما يسمح بتحديد مدى استقلالية هذه الهوية وخصوصيتها من جهة، ومدى قدرتها على التفاعل الإيجابي مع غيرها من الهويات الثقافية على الصعيدين المحلي والإقليمي، وكذلك على الصعيد الإنساني من جهة أخرى .وقد ارتبط مفهوم الثقافة بمجتمع معين ومحدد الهوية(٥١).

ذ– العامل الديني : ويعدٍ أحد مكونات الثقافة، ولا سيما في بعض المجتمعات المنغلقة والمعزولة بفعل عوامل تاريخية وجغرافية. و أن مشكلَة الهوية ترتبط بالدين، إذ قد تتحول بعد مدة إلى حالة جامدة تفتقر إلى الحيوية، وتبتعد عن التطبيق الصحيح، وتميل إلى الاصطدام والتعصب الديني. وفي هذه الحالة، لا تستطيع التمسك بالميراث الحضاري وقيمه، مهما كانت هذه القيم عظيمة،

---

(٥٠)–عبير بسيوني رضوان ،المصدر نفسه ،ص٩٤

( )–عبير بسيوني رضوان ،المصدر السابق ،ص51٩٥

كقيم الحضارة الإسلامية القائمة على العدل والعلم والتنمية المستمرة وحماية الأمن الإنساني للمسلم وغير المسلم، مثلما أنها لا تستفيد من حضارات الآخرين، رغم ما تحمله من قيم مفيدة ومطلوبة .وعندما يتعرض العامل الديني إلى حالة من الاستقطاب، فإن ذلك يجعل الهوية غير مفهومة، فتغدو بلا لون ولا رائحة ولا تميز، وتتحول إلى هوية هجومية تفتقر إلى الوعي[٥٢].

٤-أنواع الهويات

أ- الهوية العرقية: يرتبط العرق بالدرجة الأساس بوحدة الأصل والنسب المشترك، فالعرق كمفهوم وراثي تُشتق منه خصائص مميزة مشتركة لأفراد جماعة معينة، يعتقدون أنهم ينتمون إلى جذر واحد. وهنا تؤدي رابطة الدم والقرابة دوراً أساسياً في ربط أفراد هذه الجماعة بعضهم ببعض [٥٣].

وعليه، يولد الأفراد داخل جماعة عرقية تُحدد مواقعهم الاجتماعية اعتماداً على انتمائهم إليها، و يشترك أعضاء هذه الجماعات في مجموعة من المشاعر والأفكار والميول السلوكية. ولا تقوم

---

[٥٢]-احمد فيصل علي ،النظام السياسي وجدلية الذاكرة والهوية ،رسالة ماجستير ،كلية العلوم السياسية ،جامعة الموصل ،٢٠٢١ ،ص٧٥

[٥٣]-سيد حامد عزيز ،الهوية والوحدة الوطنية في السودان ،ط١ ،دار العالمية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،٢٠١٧ ،ص٣٣ .

الجماعة العرقية بمجرد تجمع الأفراد، بل يتطلب ذلك تكوّن حس جمعي قائم على شعور الأفراد بالانتماء إليها، وتكوين هوية عرقية لاسيما بهم[٥٤] .

وقد شدد (ماكس فيبر) على أهمية النسب المشترك في تحديد الهوية العرقية، عبر التركيز على الدور الذي تؤديه الجماعات البشرية التي تؤمن إيماناً ذاتياً بأصلها المشترك، في نشر الوعي وتكوين الجماعة العرقية [٥٥] .

وقد تكون الهوية العرقية سبباً في تنامي النزاعات الانفصالية، ولاسيما عند وجود تماثل عرقي بين جماعة وأخرى تعيش في بلد مجاور. ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الانتماء العرقي عن الولاء السياسي، إذ إن تزامن الفروقات الإثنية داخل المجتمع مع الرغبة في المحافظة على النقاء العرقي والخوف من تمازج الأجناس، يؤدي إلى إعاقة عملية بناء الأمة .وعلى العكس من ذلك، فإن وجود تجانس أم شبه تجانس إثني بين السكان يعزز من تماسك الأمة، ويسهم في نقلها إلى مصاف الأمم المتقدمة [٥٦].

ب- الهوية الوطنية : تُعد الهوية الوطنية الهوية المشتركة التي تجمع بين مجموعة من الناس في مكان محدد جغرافياً وسياسياً يُعرف بالدولة. وإذ ما عُدّت جزءاً من الخصائص الفسيولوجية، فإنها ستُفهم على أنها شيء موروث، إلا أن هذا الفهم يواجه صعوبة، إذ يصعب التمييز بين الأفراد

---

[٥٤]-اسحق عياش ،الهوية وادارة التعدد والتنوع المجتمعي ،ط١ ،المعهد المصري للدراسات ،٢٠١٨ ،ص٩-١٩ .

[٥٥]-وهيب الشاعر ،الاردن الى اين الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية ،ط١ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠٠٤ ،ص١٧.

[٥٦]-حميد فاضل حسن ،الهوية الوطنية العراقية :ازمات الماضي والحاضر ،مجلة العلوم السياسية ،جامعة بغداد ،٢٠٠٤ ،ص٦٧

على أساس السمات الجسمانية في ظلَ التقارب الجغرافي بين الدول، مما يؤدي إلى وجود شعوب تتقاسم العديد من الخصائص الفسيولوجية عبر حدود سياسية مختلفة [٥٧].

وبناءً على ذلك، لا يصح تعريف الهوية الوطنية على أساس السمات الفسيولوجية، إذ يتضح أنها ليست بيولوجية، بل هي هوية ثقافية مكتسبة، مع الأخذ في الاعتبار أنها قد تتسم في بعض الأحيان بطابع فطري، ويرى بعض الباحثين أن الهوية الوطنية تمثل شكلاً من الهوية المتخيلة أم المصورة للدولة، والتي يتم التعبير عنها عبر الرموز والخطابات[٥٨].

و أن مفهوم الهوية الوطنية يتسم بدرجة من الغموض، وقد عبّر (ستون وتسون) عام ١٩٧٧ عنها بأنها عملية تاريخية مرتبطة بنشأة الدولة الحديثة والتغير الثقافي، وتؤكد الخبرات والملامح الثقافية والعادات[٥٩] (ويمكن فهم الهوية الوطنية على مستويين.

– المستوى الأول: يتمثل في عملية بحث داخلية تتعرف عبرها الدولة على نفسها من إذ تاريخها وحضارتها وثقافتها.

–المستوى الثاني: يتمثل في عملية بحث خارجية تتعرف عن طريقها الدولة على نفسها من إذ اختلافها عن الآخر[٦٠].

---

[٥٧]–دعاء احمد البنا ،دراما المخابرات وقضايا الهوية الوطنية ،ط١ ،العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة ،٢٠١٩ ،ص١٥

[٥٨]–ايوب محمد الطيب ،ماهية الهوية الوطنية وتحدياتها ،مجلة كلية القانون والسياسة ،كلية العلوم السياسية ،جامعة جرمو ،السليمانية –جمجمال،٢٠١٤ ،ص٢٣٠

[٥٩]–غازي عبدالرحمن القصيبي ،العولمة والهوية الوطنية مقالات ،الرياض ،ط٢ ،٢٠٠٢ ،ص٨

[٦٠]–دعاء احمد البنا ،دراما المخابرات وقضايا الهوية الوطنية ،مصدر سابق ،ص٤٤

ج- الهوية القومية : يشير المفهوم الأول للقومية إلى أنها تمنح الشعوب خصائص متميزة وتاريخاً خاصاً، مما يجعلها أمة قائمة بنفسها، لها الحق في العيش على رقعة جغرافية محددة، وعلى أفرادها الالتزام باحترامها والانتماء إليها [٦١].

وفي تعريف (إرنست غلنر) ، فإن القومية تُعد مبدأً سياسياً تتطابق فيه الوحدة السياسية مع الوحدة القومية، أي أن هناك أمماً موجودة ينبغي أن تكون لها دول مستقلة، ويحق لها أن تُمثّل في كيان سياسي مستقل يتمتع بالسيادة، وله نظام قانوني ودستوري خاص به، وهو ما يُعرف بالدولة القومية التي تمثل وحدة سياسية فاعلة في العصر الحديث [٦٢].

أما المفهوم الآخر للقومية، فيُستخدم للإشارة إلى مجموعة من الحركات السياسية التي تظهر في أزمنة محددة، وتكون ذات قيادات معينة، إذ تعمل هذه الحركات على تحديد ماهية الأمة وخصائصها، وتطرح تساؤلات حول من ينتمي إلى الأمة ومن لا ينتمي إليها، وهو ما يُعرف بالنزعة القومية .وقد تجلت هذه النزعة في عدد من الحركات، مثل القومية العربية في مطلع القرن العشرين، والقومية الفارسية منذ تسعينيات القرن التاسع عشر[٦٣].

ثانياً: مفهوم النزاع وعلاقته بالمفاهيم المتقاربة

ولفهم المتغير الثاني، لا بد من الوقوف على مفهوم النزاع بوصفه مدخلًا أساسيًا للوصول إلى فهم أعمق لمسألة الهوية الوطنية. إذ يُلاحظ أن العديد من الباحثين يستخدمون مصطلح "النزاع"

---

[٦١]-محمد بن عبدالرحمن الترك ،الخطاب الدعوي واثره في تعزيز الهوية الوطنية ،مجلة عين الشمس ،كلية الاداب ،جامعة عين الشمس ،مجلد ٤٧ ،٢٠١٩ ،ص٢٤٠

[٦٢]-احمد غالب محي ،الهوية الوطنية العراقية ،مصدر سبق ذكره ،ص٣٧

-عالي حسن ،الهوية الدينية والنخبة السياسية في الجزائر حزب جبهة التحرير الوطني انموذجا ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب [٦٣]والعلوم الانسانية ،جامعة ابي بكر بلقايد ،٢٠٠٨ ،ص٣٠

لوصف ظواهر معينة، في حين يستعمل آخرون مصطلحات مثل "الأزمة" أم "الحرب" أم "التوتر" للدلالة على الظاهرة نفسها، دون التدقيق في الفروقات الدلالية بينها، الأمر الذي يؤدي إلى نوع من الالتباس المفاهيمي. ولم يسلم كلَ من لبنان والعراق من هذا الخلط، إذ تُستخدم هذه المصطلحات أحيانًا بالتبادل لوصف الحالة فيهما

يُعبّر النزاع عن حالة تعارض قائمة بين أطراف متعددة في الأهداف والمصالح، إذ يكون هناك طرفان أو أكثر سواء كانوا قبائل أم جماعات عرقية أم دينية أم لغوية أم اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية ينخرطون في تعارض واعٍ نتيجة سعي كلَ طرف لتحقيق أهداف متناقضة، سواء كانت هذه الأهداف متعارضة فعليًا أم يُتصور تعارضها[٦٤].

.وفي هذا السياق، عرّف (ريمون آرون) النزاع بأنه نتيجة تنازع بين شخصين أو جماعتين أو وحدتين سياسيتين للسيطرة على أهداف معينة أو لتحقيق أهداف غير متجانسة[٦٥].

و يرى (Dennis Sandol) أن النزاع ظاهرة ديناميكية، تنشأ عندما يسعى طرفان أم أكثر إلى تحقيق أهداف غير متفق عليها ضمن أطرهم الفكرية، عبر إضعاف قدرات الطرف الآخر بصورة مباشرة أم غير مباشرة[٦٦].

أما (بيتر فالنستين)، أحد أبرز المختصين في دراسات السلم والصراع، فيعرّف النزاع بأنه حالة يسعى فيها طرفان على الأقل في الوقت نفسه للحصول على موارد مادية أم غير مادية تكون غير كافية لإشباع حاجاتهم جميعًا[٦٧].

---

[٦٤]–داورتي جيمس وبلتسغراف روبت ،النظرية المتقاربة في العلاقات الدولية ،ترجمة وليد عبدالحي ،ط١ ،كاظمية للنشر والتوزيع ،الكويت ،١٩٨٥ ،ص١٤٠.

[٦٥]–داورتي جيمس وبلتسغراف روبت ،النظرية المتقاربة ،مصدر نفسه ،ص٩٤ .

[٦٦]–عباس غالي الحديثي ،انماط الصراعات البيئية ،على الموقع الالكتروني http://omu. edu.

في حين يرى (لويس كوسر) أن النزاع هو صراع حول منفعة أم سلطة أم موارد نادرة، إذ لا يقتصر هدف الأطراف على تحقيق المكاسب، بل يمتد إلى تحييد أو إقصاء المنافس[٦٨].

وقد سعى الباحثون إلى تصنيف النزاعات وفق زوايا متعددة؛ إذ صنّف "مارسيل ميريل" النزاعات إلى ثلاثة أنماط رئيسة بحسب طبيعة موضوعها.:

- نزاعات الاستقلال :وتشمل حروب تصفية الاستعمار والحروب الانفصالية .
- نزاعات السيطرة على الإقليم :كالصراعات المتعلقة بتعديل الحدود أم التوسع الجغرافي .
- نزاعات السلطة :التي تهدف إلى الاستيلاء على الحكم، وتشمل الحروب الأهلية والانقلابات، والتي وصفها بالأزمات الأيديولوجية [٦٩].

و تُقسم النزاعات على نوعين • :نزاعات متماثلة :تتشابه فيها أطراف النزاع • .نزاعات غير متماثلة :تنشأ بين أطراف غير متكافئة، كالصراع بين حكومة وجماعات متمردة، أم بين أغلبية وأقلية[٧٠].

٢-النزاع والمفاهيم المتقاربة

---

[٦٧]-عباس غالي الحديثي ،مصدر نفسه .

[٦٨]-حماد كمال ،النزاعات الدولية :دراسة قانونية دولية في علم النزاعات ،ط١ ،دار الوطنية للدراسات والنشر ،لبنان ،١٩٩٨ ،ص١١ .

[٦٩]-ميرل مارسيل، سيسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة حسن نافعة، ط١. القاهرة المستقبل العربي، ١٩٨٦. ص ٥٠٦-٥٠٧.

[٧٠]-محمد احمد عبد الغفار، فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية دراسة نقدية وتحليليه دار هومة، ٢٠٠٣. ص ٧٩.

بعد تحديد مفهوم النزاع، يمكن التمييز بينه وبين مفاهيم أخرى قريبة منه، وهي: التوتر، والأزمة، والحرب

أ- التوتر: يُعد التوتر حالة من الشك وعدم الثقة بين الأطراف، ويظهر في شكلَ مواقف وميول صراعية دون أن يصل إلى استخدام القوة المسلحة. ويرى (ميريل مارسيل) أن التوتر يمثل سلوكًا صراعيًا لا يتطور مرحليًا إلى مواجهة عسكرية، بل يظل في إطار العداء والتوجس. ومن ثم، فإن التوتر يُعد مرحلة سابقة على النزاع، وغالبًا ما ترتبط أسبابه بأسباب النزاع نفسه، إلا أنه لا يرقى إلى مستوى التعارض الفعلي والصريح [٧١].

ب- الأزمة: تتميز الأزمة بعدة خصائص تميزها عن غيرها من أشكال التفاعلات النزاعية، من أبرزها • :عنصر المفاجأة وعدم التوقع • .تعقيد وتشابك الأسباب والعوامل • .نقص المعلومات أم عدم دقتها • .ضيق الوقت المتاح لاتخاذ القرار .وعليه، تُعد الأزمة تحولًا مفاجئًا في مسار العلاقات، ينطوي على تهديد مباشر للقيم والمصالح الحيوية، مما يستدعي اتخاذ قرارات سريعة في ظل ظروف من عدم اليقين. وغالبًا ما تسبق الأزمات الحروب، لكنها لا تؤدي بالضرورة إليها، إذ يمكن احتواؤها أم تسويتها سلميًا. ورغم تقاربها مع النزاع، إلا أن الأزمة تكون أكثر غموضًا من إذ تحديد أطرافها وأبعادها، و أنها مؤقتة بخلاف النزاع الذي يتسم بالاستمرارية [٧٢].

---

[٧١]-ميرل مارسيل ،مصدر سابق ،ص٤٩٩.

[٧٢]-عثمان فاروق السيد، التفاوض وإدارة الأزمات، ط ١ مصر : دار الأمين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤. ص ١٢٤ .

ت_ الحرب :ترتبط الحرب باستخدام العنف المنظم، وغالبًا ما تُعرّف بأنها توظيف القوة المسلحة لإرغام الخصم على الخضوع. فقد عرّفها "كارل فون كلاَزفيتز" بأنها عمل من أعمال العنف يهدف إلى إجبار العدو على تنفيذ إرادة الطرف الآخر[٧٣].

و يرى (غاستون بوتول) أن الحرب صراع مسلح ودموي بين جماعات منظمة، في حين يعدها (ريمون آرون) شكلاً من أشكال التنافس العنيف بين الوحدات السياسية .وتتميز الحرب عن النزاع بأنها تتخذ شكلاً واحدًا يتمثل في الصدام المسلح، بينما يمكن للنزاع أن يتخذ أشكالاً متعددة، مثل النزاع السياسي أم الاقتصادي أم الأيديولوجي[٧٤].

مراحل تطور النزاع :يمر النزاع بمراحل عديدة متدرجة، يمكن إجمالها مثلما يأتي :

أ- .مرحلة الكُمون :إذ يظهر النزاع في شكلَ موقف أم حالة تنازعية كامنة .

ب- .مرحلة التفاعل :تبدأ الأطراف في التعبير عن مطالبها وادعاءاتها.

ت-مرحلة التصعيد غير المباشر :يتخذ النزاع طابعًا سياسيًا وإعلاميًا .

ث- مرحلة الأزمة :تتكثف الضغوط السياسية والاقتصادية والدبلوماسية .

ج- .مرحلة التهديد باستخدام القوة :كحشد القوات أم التلويح بالعمل العسكري .

ح – مرحلة النزاع المسلح :وهي المرحلة التي يتم فيها اللجوء إلى القوة العسكرية [٧٥].

---

[٧٣]-فوللر ج.ق.س ،ادارة الحرب من عام ١٧٨٩ حتى ايامنا هذه ،ترجمة اكرم الديري ،دار اليقظة العربية لتأليف والترجمة والنشر ،بيروت ،١٩٧١ ،ص٩٢-٩٣.

[٧٤]-بوتول غاستون ،الحرب والمجتمع (تحليل) اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، ترجمه عباس الشربيني دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨٣ ،ص٤٨-٤٩.

[٧٥]-بوتول غاستون ،الحرب والمجتمع ،مصدر نفسه ،ص٤٩ .

ولهذا فان الحديث عن الهوية في بادئ الأمر فلا يقصد بها الجنسية فحسب وليس كلَ من يحمل الجنسية هو مواطن هذا من منظور قانوني أم اجتماعي فهي الشعور بالانتماء للوطن والذي يتشكلَ عبر مجموعة من العوامل المشتركة مثل اللغة والثقافة و التاريخ والتقاليد، ولا يوجد مجتمع متوحد وأي دولة في مرحلة البناء يجب أن تختار هوية سياسية بدلا من الهويات الفرعية مثلما يرى مونتسكيو في كتاب روح القوانين أكثرها متنوعة وإذ كان المجتمع متنوع فلا بد من أن تكون له هوية سياسية ، ولا يجوز اختيار هوية سياسية لهذه الدولة ضمن الهويات الفرعية فعلينا الذهاب إلى الهوية الجامعة وهي الهوية الوطنية، والهوية الفرعية لا تصلح أن تكون هوية سياسية ولا بد لنا وفي كلَ الدولة في مرحلة البناءمن أن تجد هوية مشتركة وأبعاد الهويات الفرعية التي تحاول تأسيس الدولة.

زدعلى ذلك يرى (مونتسكيو) في إطار التنوع في المجتمعات ان النظام السياسي عليه أن ينتقل من المجتمع متنوع غير منسجم إلى مجتمع متنوع منسجم أين التنوعات يجب أن تبقى ولكن ان تنسجم فيما بينها ومن يحقق هذا الانسجام فهو النظام السياسي المسؤول عن إدارة التنوع وليس إلغائه .